يخشى عقابه ويرجى ثوابه وقوله تعالى قل اي لهم هو نبأ عظيم يعود على القرآن
وما فيه من القصص والاخبار وقيل على تخاصم اهل النار وقيل على ما تقدم
من اخباره صلى الله عليه وسلم بانه نذير مبين وبان الله تعالى الله واحد
متصف بنعوت الصفات الحسنى وقوله تعالى انتم عنه معرضون صفة
للنبأ اي لتمادي غفلتكم فان العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه
الحجج الواضحة اما على التوحيد فما مر واما على النبوة فقوله تعالى ما كان لي من
علم بالملأ الاعلى اي الملائكة فقوله بالملأ متعلق بقوله من علم وضمن
معنى الاحاطة فلذلك تعدى بالباء اذ يختصمون اي في شان آدم
عليه السلام حين قال الله عز وجل اني جاعل في الارض خليفة الى اخره
فان قيل الملائكة لا يجوز ان يقال انهم اختصموا بسبب قولهم
اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فالمخاصمة مع الله تعالى كفر
اجيب بانه لا شك انه جرى هناك سؤال وجواب وذلك يشبه
المخاصمة والمناظرة والمشابهة علة المجاز فلهذا السبب حسن اطلاق
لفظ المخاصمة عليه ولما امر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ان يذكر
هذا الكلام على سبيل الزجر امره ان يقول ان اي ما يوحى الي الا انما ا
ي انا نذير مبين اي بين الانذار ابين لكم ما تأتونه وما تجتنبونه
وروي انه صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي في احسن صورة قال
ابن عباس احسبه قال في المنام فقال يا محمد هل تدري فيما يختصم
الملأ الاعلى قلت انت اعلم اي رب مرتين قال فوضع يده بين كتفي
فوجدت بردها بين ثديي او قال في نحري فعلمت ما في السموات وما
في الارض وفي رواية وكذلك نري ابراهيم ملكوت والارض وليكون من
المؤمنين ثم قال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الاعلى قلت نعم في الدرجات
والكفارات قال وما هن قلت المشي على الاقدام الى الجماعات والجلوس
في المساجد بعد الصلوات واسباغ الوضوء على المكاره قال من يفعل
ذلك يعش بخير ويمت بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته امه وقال
يا محمد اذا صليت فقل اللهم اني اسئلك فعل الخيرات وترك المنكرات
وحب المساكين وان تغفر لي وترحمني واذا اردت بعبادك فتنة
فاقبضني اليك غير مفتون قال ومن الدرجات افشا السلام واطعام
الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وفي رواية فقلت لبيك
وسعديك في المرتين وفيهما فعلمت ما بين المشرق والمغرب اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب وللعلماء في هذا الحديث
وامثاله من احاديث الصفات مذهبان احدهما مذهب السلف وهو امراره
كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والايمان به من غير تاويل له

والسكوت



والسكوت عنه مع الاعتقاد بانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير والمذهب
الثاني مذهب الخلف وهو تأويل الحديث بقوله صلى الله عليه وسلم
اتاني ربي في احسن صورة يحتمل وجهين احدهما واتاني في احسن صورة كانه
زاده جمالا وكمالا وحسنا عند رؤيته لربه وانما التغيير وقع بعده لشدة الوحي
وثقله اي ان الصورة بمعنى الصفة ويرجع ذلك الى الله تعالى والمعنى انه رآه
في احسن صفاته من الانعام عليه والاقبال اليه والله تعالى تلقاه بالاكرام
والاعظام فاخبر صلى الله عليه وسلم عن عظمته وعزته وكبريائه وهيبته وبعده
عن شبه الخلق وتنزيهه عن صفات النقص وانه ليس كمثله شيء وهو
السميع البصير وقوله صلى الله عليه وسلم فوضع يده بين كتفي الى اخره
فالمراد باليد النعمة والمنة والرحمة وذلك شايع في لغة العرب
فيكون معناه على هذا الاخبار باكرام الله تعالى اياه وانعامه عليه بان
شرح صدره ونور قلبه وعرفه ما لم يعرفه حتى وجد برد النعمة والرحمة
والمعرفة في قلبه وذلك لما نور قلبه وشرح صدره فعلم ما في السموات
وما في الارض باعلام الله تعالى اياه فانما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن
فيكون اذ لا يجوز على الله تعالى ولا على صفات ذاته مماسة او مباشرة
او نقص وهذا النبي بتنزيهه واذا حملنا الحديث على المنام وان ذلك كان
في المنام فقد زال الاشكال لان رؤية الباري تعالى في المنام على الصفات
الحسنة دليل على البشارة والخير والرحمة للرائي وسبب اختصام
الملأ الاعلى وهم الملائكة في الكفارات وهي الخصال المذكورة في الحديث
في انها افضل وسميت هذه الخصال كفارات لانها تكفر الذنوب عن
فاعلها فهي من باب تسمية الشيء باسم لازمه وسمي ذلك مخاصمة لما مر
في السؤال والجواب المتقدمين قوله اذ يجوز ان يكون بدلا من اذ الاولى
كما قاله الزمخشري وان يكون منصوبا باذكر كما قال ابو البقاء اي
واذكر اذ قال ربك للملائكة اني خالق اي جاعل بشرا من طين هو آدم
عليه السلام فان قيل كيف صح ان يقول لهم اني خالق بشرا وما
عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قبل اجيب بانه قد يكون قال لهم اني
خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم
فاذا سويته اي اتممت خلقه ونفخت اي اجريت فيه من روحي
فصار حيا حساسا متنفسا واضافة الروح اليه تعالى اضافة تشريف
عليه السلام والروح جسم لطيف يحيي به الانسان بنفوذه فيه
ليسري في بدنه لا شك سريان الضوء في الفضا وكسريان النار
في الفحم والماء في العود الاخضر فقعوا له اي خروا له ساجدين فسجد
الملائكة وقوله تعالى كلهم اجمعون فيه تاكيدان وقال الزمخشري

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)